تطهير الاعتقاد

عن أدران الالحاد

تأليف

الإمام المحدث السلفى المجتهد الشهير : محمد بن إسماعيل

الأمير ، اليمنى الصنعانى

١٠٩٩ - ١١٨٢ هجرية رحمه الله

صححه وعلق عليه الفقير إلى عفو الله ورحمته

محمد حامد الفقي

رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية

الطبعة الرابعة

١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م

ترجمة

العلامة المحدث الفقيه محمد بن إسماعيل الأمير الحسنى الصنعانى

هو الإمام المتقن ، والعلامة المتفنن ، البارع فى غالب العلوم المحدث ، الحافظ الضابط ، أبو إبراهيم محمد بن إسماعيل بن صلاح ابن محمد بن على ، المعروف ـ كسلفه ـ بالأمير ، الحسنى اليمني الكحلانى الصنعانى .

ولد رحمه الله بمدينة كحلان ، وهى على مسافة ثلاثة أيام من مدينة صنعاء شمالا إلى الغرب ـ فى ليلة الجمعة منتصف جمادى الآخرة من عام تسع وتسعين وألف من الهجرة .

ولما كانت سِنُّه إحدى عشرة سنة انتقل والده وأهله إلى صنعاء ، فنشأ بها ، وتعهده أبوه بالتربية والتعليم ، وأسلمه إلى النحارير من أهل العلم ، حتى تخرج عليهم عالما فاضلا ، يشار إليه بالبنان .

أخذ عن والده النحو والبيان والحديث وأصول الدين ،

وأخذ عدة علوم عن السيد الحافظ زيد بن محمد بن الحسن بن القاسم الحسنى الصنعانى ، ومن شيوخه السيد صلاح بن الحسين الأخفش الكحلانى ، والسيد عبد الله بن على الوزير الصنعانى والقاضى على بن محمد العنسى .

ولما استكمل أدوات التصدر عكف على تدريس العلم وإفادة الراغبين ، واشتهر بنشر علم السنة النبوية ، فقصده الطلاب وانتفعوا به .

ومن أجلّ تلاميذه : أولاده : إبراهيم ، وعبد الله ، والقاسم ومنهم السيد الحسن بن إسحاق بن المهدى ، والسيد إسماعيل بن محمد بن إسحاق ، وغيرهم .

وله مصنفات كثيرة ، ورسائل عديده مفيدة فى فنون العلوم نذكر منها :

(١) العدة ، وهى حاشية على شرح عمدة الأحكام - لابن دقيق العيد .

(٢) سبل السلام ، وهو شرح على بلوغ المرام من أدلة الأحكام - لابن حجر .

(٣) التنوير ، وهو شرح على الجامع الصغير فى حديث البشير النذير – للسيوطى .

(٤) التحبير ، وهو شرح على كتاب « تيسير الوصول إلى جامع الأصول » .

(٥) منحة الغفار ، وهو شرح على كتاب « ضوء النهار ، بشرح الأزهار » .

(٦) جمع الشتيت ، فى شرح وذيل أبيات التثبيت .

(٧) ثمرات النظر ، فى علم الأثر .

(٨) قصب السكر ، نظم نخبة الفكر ، فى علم الأثر – للحافظ ابن حجر .

(٩) إسبال المطر – بشرح نظم نخبة الفكر .

(١٠) توضيح الأفكار ، شرح تنقيح الأنظار في علوم الآثار .

(١١) الإحراز ، لما فى أساس البلاغة من كناية ومجاز .

(١٢) إجابة السائل ، شرح بغية الآمل ، منظومة الكافل فى أصول الفقه .

(١٣) فتح الخالق ، شرح مجمع الحقائق والرقائق ، فى محامد رب الخلائق .

(١٤) المسائل المرضية ، فى بيان اتفاق أهل السنة والزيدية .

(١٥) اليواقيت فى المواقيت .

(١٦) الروض النضير فى الخطب .

(١٧) إرشاد النقاد ، إلى تيسير الاجتهاد .

(١٨) تطهير الاعتقاد ، عن أدران الإلحاد .

(١٩) الروضة الندية ، شرح التحفة العلوية .

(٢٠) الانوار ، على كتاب الإيثار .

(٢١) إيقاظ الفكرة ، لمراجعة الفطرة .

(٢٢) نصرة المعبود ، فى الردّ على أهل وحدة الوجود .

(٢٣) السهم الصائب ، فى نحر القول الكاذب .

وكان شاعراً مجوداً ، أنشد قصيدة رائعة فى الإشادة بشيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وبدعوته إلى التوحيد مطلعها :

سلامى على نجد ومن حل فى نجد

وإن كان تسليمى على البعد لايجدى

ومنها :

قفى واسألى عن عالم حَلّ سُوحها

به يهتدى من ضل عن منهج الرشد

محمد الهادى لسنة أحمد

فيا حبذا الهادى ، وياحبذا المهدى

لقد أنكرت كل الطوائف قوله

بلا صَدَرٍ فى الحق منهم ولا الوِرْد

وسيذكر فى صفحة ٣١ أبياتا منها

ومات ـ رحمه الله ـ بصنعاء ، فى يوم الثلاثاء ثالث شعبان سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف ، عن ثلاث وثمانين سنة ، ودفن غربى منارة جامع المدرسة بأعلى صنعاء ، وقد رثاه جماعة من أكابر العلماء فى عصره ، منهم : السيد محمد بن هاشم الشامى الحسنى الصنعانى ، وضمن قصيدته تاريخ وفاته بقوله :

ولْيَهْنَ من بعدك البشرى مؤرخة

محمد فى جنان الخلد قد وصلا

١١٨٢

بسم الله الرحمن الرحيم

(وهو المستعان)

الحمد لله الذى لا يقبل توحيد ربوبيته من العباد حتى يفردوه بتوحيد العبادة كل الإفراد من اتخاذ الأنداد . فلا يتخذون له نداً . ولا يدعون معه أحداً ، ولا يتكلون إلا عليه . ولا يفزعون فى كل حال إلا إليه . ولا يدعونه بغير أسمائه الحسنى . ولا يتوصلون إليه بالشفعاء (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه ؟)

وأشهد أن لا إله إلا الله رباً معبوداً . وأن محمداً عبده ورسوله الذى أمره أن يقول (قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ماشاء الله) وكفى بالله شهيداً . صلى الله عليه وعلى آله والتابعين له فى السلامة من العيوب، وتطهير القلوب عن اعتقاد كل شيء يشوب

(وبعد) فهذا (تطهير الاعتقاد . عن أدران الالحاد) وجب عليّ تأليفه . وتعين عليّ ترصيفه . لما رأيته وعلمته من اتخاذ العباد الأنداد . في الأمصار والقرى وجميع البلاد . من اليمن والشام ومصر

ونجد وتهامة ، وجميع ديار الإسلام . وهو الاعتقاد فى القبور . وفى الأحياء ممن يدعي العلم بالمغيبات والمكاشفات ، وهو من أهل الفجور [١] لا يحضر للمسلمين مسجداً . ولا يُرى لله راكعاً

---

(١) هذه صفة كاشفة . فإن هؤلاء الأدعياء كلهم فجرة متمردون على الله وكتابه ورسوله . لأن التقى الصالح لايدعى علم الغيب ، ولا ينازع الله فى ربوبيته . ولو ادعى هذا لخرج عن الإسلام ، لأن مدعى ذلك مكذب لله ولرسوله . فان الله سبحانه يقول : (وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو) ويقول (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول) وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول : (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء) وأن يقول (لاأقول لكم عندى خزائن الله ولاأعلم الغيب ولا أقول لكم إنى ملك . إن أتبع إلا مايوحى إلى) وأن يقول : (ما كنت بدعا من الرسل ، وماأدرى مايفعل بى ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلى) ، والقرآن كله يجرد هذا العلم لله وحده وينفيه عن غيره من الأنبياء والمرسلين فضلا عن غيرهم . والقبوريون يعتقدون فى أوليائهم علم الغيب وغيره من خصائص الرب . بناء على اعتقادهم : أنهم النور الفائض من ربهم ، وأن فيهم من =

ولا ساجداً . ولا يعرف السنة ولا الكتاب . ولا يهاب البعث ولا الحساب .

فوجب عليّ أن أنكر ما أوجب الله إنكاره ، ولا أكون من الذين يكتمون ما أوجب الله إظهاره

فاعلم أن ههنا أصولاً هي قواعد الدين . ومن أهم ما تجب معرفته على الموحدين :

(الأصل الأول)

أنه قد علم من ضرورة الدين : أن كل ما فى القرآن فهو حق لا باطل ، وصدق لا كذب ، وهدى لاضلالة ، وعلم لاجهالة ، ويقين لاشك فيه .

فهذا الأصل أصل لا يتم إسلام أحد ولا إيمانه إلا بالاقرار به . وهذا مجمع عليه لاخلاف فيه .

= صفات الربوبية : العلم والقدرة والكرم والسمع والبصر والرحمة والحياة الدائمة . وعلى هذا الاعتقاد فزعوا إليهم فى عسرهم ويسرهم وأحبوهم كحب المؤمن لله ، ودعوهم كدعاء المؤمن ربه .

(الأصل الثانى)

أن رسل الله وأنبياءه — من أولهم إلى آخرهم — بعثوا لدعاء العباد إلى توحيد الله بتوحيد العبادة ، وكل رسول أول مايقرع به أسماع قومه قوله (ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره) (أن لاتعبدوا إلا الله) (أن عبدوا الله واتقوه وأطيعون) وهذا الذى تضمنه قول « لا إله إلا الله » فإنما دعت الرسل أممها إلى قول هذه الكلمة واعتقاد معناها . لا لمجرد قولها باللسان .

ومعناها : هو إفراد الله بالإلهية والعبادة . والنفى لما يعبد من دونه والبراءة منه . وهذا الأصل لامرية فيما تضمنه . ولا شك فيه وفى أنه لايتم إيمان أحد حتى يعلمه ويحققه .

(الأصل الثالث)

أن التوحيد قسمان

القسم الأول : توحيد الربوبية والخالقية والرازقية ونحوها . ومعناه : أن الله وحده هو الخالق للعالم . وهو الرب لهم والرازق لهم وهذا لا ينكره المشركون ، ولا يجعلون لله فيه شريكا . بل

هم مقرون به . كما سيأتى فى الأصل الرابع

والقسم الثانى : توحيد العبادة . ومعناه : إفراد الله وحده بجميع أنواع العبادات الآتى بيانها . فهـذا هو الذى جعلوا لله فيه الشركاء . ولفظ « الشريك » يشعر بالإقرار بالله تعالى

فالرسل عليهم السلام بعثوا لتقرير الأول ودعاء المشركين إلى الثانى . مثل قولهم فى خطاب المشركين (١٤ : ١٠ أفى الله شك فاطر السموات والأرض ؟ يدعوكم ليغفر لـكم من ذنوبكم) (٣٥ : ٣ هل من خالق غير الله يرزقـكم من السماء والأرض ؟ لا إله إلا هو) ونهيهم عن شرك العبـادة . ولذا قال تعـالى (١٦ : ٣٦ ولقد بعثنا فى كل أمة رسـولاً : أن اعبـدوا الله واجتنبوا الطاغوت) أى قائلين لأممهم : أن اعبدوا الله . فأفاد بقوله « فى كل أمة » أن جميع الأمم لم ترسـل إليهم الرسـل إلا لطلب توحيد العبادة ، لا للتعريف بأن الله هو الخالق للعالم وأنه رب السـموات والأرض . فإنهم مقرّون بهذا ، ولهذا لم ترد الآيات فيه فى الغالب إلا بصيغة استفهام التقرير . نحو (٣٥ : ٣

هل من خالق غير الله ؟) (١٦ : ١٧ أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟)
(١٤ : ١٠ أفى الله شك فاطر السموات والأرض ؟) (٦ : ١٤
أغير الله أتّخذ ولياً فاطر السموات والأرض ؟) (٣١ : ١١ هذا
خلق الله ، فأرونى : ماذا خلق الذين من دونه؟) (٤٦:٤ أرونى ،
ماذا خلقوا من الأرض ؟ أم لهم شرك فى السموات ؟) استفهام
تقرير لهم ، لأنهم به مقرون .

وبهذا تعرف أن المشركين لم يتخذوا الأصنام والأوثان ولم
يعبدوها ؛ ولم يتخذوا المسيح وأمه ، ولم يتخذوا الملائكة شركاء لله
تعالى ، لأنهم أشركوهم فى خلق السموات والأرض ، بل اتخذوهم
لأنهم يقربونهم إلى الله زلفى — كما قالوه — فهم مقرون بالله فى
نفس كلمات كفرهم وأنهم شفعاء عند الله قال الله تعالى (١٠ : ١٨
ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون : هؤلاء
شفعاؤنا عند الله . قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى
الأرض ؟ سبحانه وتعالى عما يشركون) فجعل الله تعالى اتخاذهم
للشفعاء شركا ونزه نفسه عنه ، لأنه لا يشفع عنده أحد إلا باذنه ،

فكيف يثبتون شفعاء لهم لم يأذن الله لهم فى شفاعة ، ولا هم أهل لها ؛ ولا يغنون عنهم من الله شيئاً ؟

(الأصل الرابع)

أن المشركين الذين بعث الله الرسل إليهم مقرون أن الله خالقهم (٤٣ : ٨٧ ولئن سألتهم : من خلقهم ؟ ليقولن : الله) وأنه الذى خلق السموات والأرض (٤٣ : ٩ ولئن سألتهم : من خلق السموات والأرض ؟ ليقولن : خلقهن العزيز العليم) وأنه الرزاق الذى يخرج الحى من الميت ، ويخرج الميت من الحى ؛ وأنه الذى يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ، وأنه الذي يملك السمع والأبصار والأفئدة (١٠ : ٣١ قل من يرزقكم من السماء والأرض؟ أم من يملك السمع والأبصار ؟ ومن يخرج الحى من الميت ؟ ويخرج الميت من الحى ؟ ومن يدبر الأمر ؟ فسيقولون : الله ، فقل : أفلا تتقون) (٢٣ : ٨٤ ـ ٨٩ قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله . قل : أفلا تذكرون ، قل : من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون : لله . قل أفلا تتقون

قل من بيده ملكوت كل شيء ، وهو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون : لله . قل : فأنى تسحرون ؟) وهذا فرعون مع غلوه فى كفره ، ودعواه أقبح دعوى ، ونطقه بالكلمة الشنعاء ، يقول الله فى حقه ، حاكياً عن موسى عليه السلام (١٧ : ١٠٢ لقد علمتَ ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر) وقال إبليس (٥٩ : ١٦ إنى أخاف الله رب العالمين) وقال (١٧ : ٣٩ رب بما أغويتنى) وقال (١٥ : ٣٦ رب فأنظرنى) وكل مشرك مقر بأن الله خالقه وخالق السموات والأرض وربهن ورب مافيهما ورازقهم ، ولهذا احتج عليهم الرسل بقولهم (١٦ : ١٧ أفمن يخلق كمن لا يخلق ؟) وبقولهم (٢٢ : ٧٣ إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له) والمشركون مقرون بذلك لا ينكرونه (١)

«١» ولما قال ابراهيم عليه السلام لقومه (٢٦ : ٧٢ ، ٧٣ هل يسمعونكم إذ تدعون ؟ أو ينفعونكم أو يضرون ؟) لم يقولوا : نعم يسمعوننا وينفعوننا ، بل قالوا : حائدين عن الجواب فارين =

الأصل الخامس

أن العبادة : أقصى باب الخضوع والتذلل [١] ولم تستعمل إلا في

= منه ، لأنهم لايستطيعون أن يقرروا الحقيقة (٢٦ : ٧٤ بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون) فقال لهم (٢١ : ٥٤ لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) والله تعالى قال للمشركين (٧ : ١٩٤ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم . فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ١٩٥ ألهم أرجل يمشون بها ؟ أم لهم أيد يبطشون بها ؟ أم لهم أعين يبصرون بها ؟ أم لهم آذان يسمعون بها ؟) يعنى بعد أن تعطلت كل هذه الجوارح بالموت وأفناها البلى وأكلها الدود وأنتم تعرفون ذلك بالفطرة . لأنهم بشر ، والبشر هذه آلات سمعهم وبصرهم وتحركهم إذا كانوا أحياء ، فإذا ماتوا تعطل كل ذلك بلا شك ولا ريب ولذلك تحداهم فقال لنبيه صلي الله عليه وسلم (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ، إن ولي الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين)

« ١ » العبادة : غاية الذل مع غاية المحبة ، وهى عمل القلب أولا ثم القلب يحرك الجوارح بمقتضاها ، والعبادة ثمرة الاعتقاد فى المعبود صفات القهر والقدرة والغنى والرحمة . فمن ثم كانت حقاً خالصاً لله =

الخضوع لله . لأنه مولى أعظم النعم . وكان لذلك حقيقا بأقصي غاية الخضوع كما الـكشاف .

ثم إن رأس العبادة وأساسها : التوحيد لله، الذي تفيده كلمته التي إليها دعت جميع الرسل ، وهى قول « لا إله إلا الله» والمراد اعتقاد معناها ، والعمل بمقتضاها ، لا مجرد قولها باللسان .

ومعناها : إفراد الله بالعبادة والالهية ، والنفى والبراءة من كل معبود دونه ، وقد علم الـكفار هذا المعنى ، لأنهم أهل اللسان العربى فقالوا (٣٨:٥أجعل الآلهة إلها واحداً ؟ إن هذا لشىء عجاب)

= وحده بل كانت هى الغاية التى خلق الله الإنس والجن لها وخلق السموات والأرض وسخرهما للانسان ليتوفر بـكل قواه عليها ، وأرسل الرسل وأنزل الـكتب لبيانها . فمن دعا غير الله أو نذر أو تقرب بأى قربة جسمية أو مالية لنبي أو ولى أو ملك أو أى شىء فى هذا الوجود ، مهما كان عظيما فى خلقه ، أو فى علمه أو عمله أو صفته ،فإنما نشأ هذا الدعاء والتقرب عن عقيدة القلب بأن فى هذا النبي أو الولى : صفة من صفـات الربوبية ، من القوة والرحمة والغنى وغيرها ، ومن هنا كان ذلك أنجس النجس .

فصل

إذا عرفت هذه الأصول فاعلم : أن الله تعالى جعل العبادة له أنواعا :

(إعتقادية)وهى أساسها ، وذلك أن يعتقد أنه الرب الواحد الأحد الذى له الخلق والأمر ، و بيده النفع والضر ، وأنه الذى لا شريك له ، ولا يشفع عنده أحد إلا بإذنه ، وأنه لا معبود بحق غيره ؛ وغير ذلك مما يجب من لوازم الإلهية .

ومنها اللفظية . وهى النطق بكلمة التوحيد . فمن اعتقد ما ذكر ، ولم ينطق بها : لم يحقن دمه ولا ماله . وكان كابليس ، فانه يعتقد التوحيد ؛ بل و يُقرُّ به ، كما أسلفناه عنه ، إلا أنه لم يمتثل أمر الله فكفر . ومن نطق ولم يعتقد حقن ماله ودمه ، وحسابه على الله . وحكمه حكم المنافقين .

و بدنية . كالقيام والركوع والسجود فى الصلاة

ومنها : الصوم وأفعال الحج والطواف

ومالية : كإخراج جزء من المال امتثالا لما أمر الله تعالى به

وأنواع الواجبات والمندوبات فى الأموال والأبدان والأفعال والأقوال كثيرة ، لكن هذه أمهاتها . وإذا تقررت هذه الأمور

فاعلم : أن الله تعالى بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من أولهم إلى آخرهم يدعون العباد إلى إفراد الله تعالى بالعبادة ، لا إلى إثبات أنه خلقهم ونحوه ، إذ هم مقرون بذلك ، كما قررناه وكررناه . ولذا قالوا (٧ : ٦٩ أجئتنا لنعبد الله وحده ؟) أى : لنفرده بالعبادة ، ونخصه بها من دون آلهتنا ؟ فلم ينكروا إلا طلب الرسل منهم إفراد العبادة لله . ولم ينكروا الله تعالى ، ولا قالوا : إنه لا يعبد . بل أقروا بأنه يعبد . وأنكروا كونه يفرد بالعبادة ، فعبدوا مع الله غيره ، وأشركوا معه سواه . واتخذوا له أنداداً ، كما قال تعالى (٢ : ٢٢ فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) أى : وأنتم تعلمون أنه لاند له . وكانوا يقولون فى تلبيتهم للحج « لبيك لا شريك لك ، إلا شريكا هو لك ، تملكه وما ملك » وكان يسمعهم النبى صلى الله عليه وسلم عند قولهم « لا شريك لك » ويقول : « قد أفردوه جل جلاله ، لو تركوا قولهم : إلا شريكا

هو لك » فنفس شركهم بالله تعالى إقرار به ، قال تعالى (٦ : ٢٢ أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) (٢٨ : ٤ وقيل ادعوا شركاءكم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم) (٧ : ١٩٤ قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) فنفس اتخاذ الشركاء إقرار بالله تعالى ، ولم يعبدوا الأنداد بالخضوع لهم والتقرب بالنذور والنحر لهم ، إلا لاعتقادهم أنها تقربهم إلى الله زلفى ، وتشفع لهم لديه .

فأرسل الله الرسل تأمر بترك عبادة كل ما سواه وتبين أن هذا الاعتقاد الذى يعتقدونه فى الأنداد باطل ، وأن التقرب إليهم باطل ، وأن ذلك لايكون إلا لله وحده . وهذا هو توحيد العبادة . وقد كانوا مقرين - كما عرفت في الأصل الرابع - بتوحيد الربوبية . وهو أن الله هو الخالق وحده والرازق وحده. ومن هذا تعرف أن التوحيد الذى دعتهم إليه الرسل من أولهم - وهو نوح عليه السلام - إلى آخرهم - وهو محمد صلى الله عليه وسلم - هو توحيد العبادة . ولذا تقول لهم الرسل (أنْ لا تعبدوا إلا الله) (اعبدوا الله ، مالكم من إله غيره) .

وقد كان المشركون منهم : من يعبد الملائـكة و يناديهم عند الشدائد ، ومنهم من يعبد أحجاراً و يهتف بها عند الشدائد[1] ، فبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، بأن يفردوه بالعبادة . كما أفردوه بالربوبية ، أى بربوبية السموات والأرض . وأن يفردوه بمعنى ومؤدى كلمة « لا إله إلا الله » معتقدين لمعناها ، عاملين بمقتضاها ، وأن لايدعوا مع الله أحداً . وقال تعالى (١٣ : ١٤ له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لايستجيبون لهم بشىء) وقال تعالى (٥ : ٢٢ وعلى الله فتوكلوا

« ١ » الأحجار لم تعبد لذاتها وإنما كانت تماثيل لبعض الصالحين ومذكرات بهم ، أو منسوبة إليهم كأحد أعمدة الرخام فى المسجد المنسوب للحسين بمصر يتمسح به المشركون للبركة والاستشفاء ، لأنه منسوب إلى أحمـد البدوى . فهو يعرف عند عابديه بعمود السيد . وكـكل الرجوم والأحجار التى أقيمت على القبور ، يتمسح بها المشركون ويتبركون بها ويطوفون حولهـا ، ويعكفون عندها ويقيمون لهـا الشعائر فى الموالد وغيرها ، كما يعظم المؤمنون بيت الله المحرم وشعائره وحرماته .

إن كنتم مؤمنين) أى من شرط الصدق فى الإيمان بالله : أن لا يتوكلوا إلا عليه ، وأن يفردوه بالتوكل ، كما يجب أن يفردوه بالدعاء والاستغفار ، وأمر الله عباده أن يقولوا (إياك نعبد) ولا يصدق قائل هذا إلا إذا أفرد العبادة لله تعالى ، وإلا كان كاذباً منهياً عن أن يقول هذه الكلمة . إذ معناها : نخصك بالعبادة ونفردك بها دون كل أحد وهو معنى قوله (٢٩:٥٦ فإياى فاعبدون) (٢:٤١ وإياى فاتقون) كما عرف من علم البيان، أن تقديم ما حقُّه التأخير يفيد الحصر ، أى لا تعبدوا إلا الله ، ولا تعبدوا غيره ، ولا تتقوا غيره [1] كما فى الكشاف ، فإفراد الله تعالى بتوحيد العبادة لا يتم إلا بأن يكون الدعاء كله له والنداء فى الشدائد والرخاء لا يكون إلا لله وحده ، والاستعانة بالله وحده، واللجأ إلى الله والنذر والنحر له تعالى ، وجميع أنواع العبادات : من الخضوع والقيام تذللا لله

«١» الحصر : جامع بين الإثبات والنفى ، والمعنى : اعبدوا الله ولا تعبدوا غيره ، واتقوه ولا تتقوا غيره ، فإيراد صيغق النفى إما تحريف من النساخ وهو الأرجح ، وإما سبق قلم من المؤلف

تعالى ، والركوع والسجود والطواف والتجرد عن الثياب والحلق والتقصير كله لا يكون إلا لله عز وجل ، ومن فعل شيئاً من ذلك لمخلوق حى أو ميت أو جماد أو غيره فقد أشرك فى العبادة . وصار من تُفعل له هذه الأمور إلها لعابديه ، سواء كان ملكا أو نبياً أو ولياً أو شجراً أو قبراً أو جنياً أو حياً أو ميتاً . وصار العابد بهذه العبادة أو بأي نوع منها عابداً لذلك المخلوق مشركا بالله . وإن أقر بالله وعبده ، فإن إقرار المشركين بالله وتقربهم إليه لم يخرجهم عن الشرك وعن وجوب سفك دمائهم وسبى ذراريهم ، وأخذ أموالهم غنيمة . قال الله تعالى[1] « أنا أغنى الشركاء عن الشرك » « لا يقبل الله عملا شورك فيه غيره » ولا يؤمن به من عبد معه غيره .

فصل

إذا تقرر عندك أن المشركين لم ينفعهم الاقرار بالله مع

«١» قوله : قال الله تعالى ، أى فى الحديث القدسى الذى سيأتى بصفحة ٢٥

إشراكهم الانداد من المخلوقين معه فى العبادة ، ولا أغنى عنهم من الله شيئاً ، وأن عبادتهم هى اعتقادهم فيهم : أنهم يضرون وينفعون وأنهم يقربونهم إلى الله زلفى وأنهم يشفعون لهم عند الله تعالى ، فنحروا لهم النحائر ، وطافوا بهم ونذروا النذور عليهم ، وقاموا متذللين متواضعين فى خدمتهم ، وسجدوا لهم . ومع هذا كله ، فهم مقرون لله بالربوبية وأنه الخالق ، ولكنهم لما أشركوا فى عبادته : جعلهم مشركين ، ولم يعتد بإقرارهم هذا . لأنه نافاه فعلهم . فلم ينفعهم الاقرار بتوحيد الربوبية . فمن شأن من أقر لله تعالى بتوحيد الربوبية : أن يفرده بتوحيد العبادة . فإذا لم يفعل ذلك ، فالاقرار الأول باطل . وقد عرفوا ذلك وهم فى طبقات النار فقالوا (٢٦ : ٩٧ ، ٩٨ تالله إن كنا لفى ضلال مبين ؛ إذ نسويكم برب العالمين) مع أنهم لم يسووهم به من كل وجه ، لا جعلوهم خالقين ولا رازقين ، لكنهم علموا وهم فى قعر جهنم أن خلطهم الاقرار بذرة من ذرات الاشراك فى توحيد العبادة[1]

---

(١) وعلموا أنهم قد أشركوهم مع الله فى الطاعة لما شرعوا لهم =

ضَيِّرهم كمن سَوَّى بين الأصنام ، و بين الرب الأنام ، قال الله تعالى (١٢:١٠٦ وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) أى ما يقرُّ أكثرهم فى إقراره بالله و بأنه خلقه وخلق السموات والأرض إلا وهو مشرك بعبادة الأوثان [1] بل سمى الله الرياء

= مالم يأذن به الله . فإنما وقع من وقع منهم فى الشرك الأكبر وغيره من أنواع الكفر بتركهم طاعة الله وطاعة رسوله ، واتباعهم ماشرع لهم الشيوخ والسادة والرؤساء من الصوفيـة الخسرة وغـيرهم ، مازخرفوه لهم من الدين الباطل، الذى عموا به وضلوا عن صراط الله المستقيم . إذ قلدوهم تقليداً أعمى كافرين بنعمة الله فى سمعهم وأبصارهم وعقولهم، مكذبين لآياته الكونية والعلمية، فحقت عليهم كلمة الله فهم لايعقلون . فقالوا (وما أضلنا إلا المجرمون) وقالوا : (لو كنا نسمع أو نعقل ماكنا فى أصحاب السعير) ومن أوضح وأبين الضلال والغى والفسق عن أمر الله : انهم كانوا يعتقدون فى الدنيا بهذا العمى أن آيات الكفر والشرك ليست خطابا ولاوصفاً لهم، وإنما هى خطاب ووصف للذين مضوا من قبلهم . فهى عنـدهم أساطير الأولين .

(١) وكل عباداتهم التى يدعونها صلاة وحجاً وغيرهاما كانوا =

فى الطاعات شركا ، مع أن فاعل الطاعة ما قصد بها إلا الله تعالى
وإنما أراد طلب المنزلة بالطاعة فى قلوب الناس . فالمرائى عبدَ الله
لا غيره ، لكنه خلط عبادته بطلب المنزلة فى قلوب الناس . فلم
يقبل له عبادة ، وسماها شركا . كما أخرجه مسلم من حديث
أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
« يقول الله تعالى أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملا
وأشرك فيه معي غيرى تركته وشركه » بل سمى الله التسمية بعبد
الحرث شركا . كما قال تعالى (٧ : ١٨٩ فلما آتاهما صالحا جعلا له
شركاء فيما آتاهما) فإنه أخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث
سمرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال « لما حملت حواء — وكان
لا يعيش لها ولد — طاف بها إبليس ، وقال : لا يعيش لك ولد حتى
تسميه عبد الحرث . فسمته فعاش . وكان ذلك من وحى الشيطان

= يتوجهون بها إلى الله خالصة قلوبهم لله ، بل كلها كانت مشوبة
بالشرك بالأولياء والأوثان التى سموها غباوة وبلادة قبورا ومشاهد
ومقامات ، وما هى إلا الأوثان والأصنام بعينها لو كانوا يفقهون .

وأمره . فأنزل الله الآيات وسمى هذه التسمية شركا . وكان إبليس تسمى بالحرث » والقصة فى الدر المنثور وغيره[١] .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير فى تفسير الآيتين (٧ : ١٨٩ ، ١٩٠ هو الذى خلقكم من نفس واحدة الخ) بعد أن ساق هذا الحديث من رواية الإمام أحمد وابن جرير وابن أبى حاتم والحاكم — : والغرض أن هذا الحديث معلول من ثلاثة أوجه .

(أحدها) أن عمر بن إبراهيم هذا هو البصرى . وقد وثقه ابن معين ، ولكن قال أبو حاتم الرازى : لايحتج به . ولكن رواه ابن مردويه من حديث المعتمر عن أبيه عن الحسن عن سمرة مرفوعا ؛ والله أعلم . (الثانى) أنه قد روى من قول سمرة نفسه ليس مرفوعا ، كما قال ابن جرير (الثالث) أن الحسن نفسه فسر الآية بغير هذا ، فلو كان هذا عنده عن سمرة مرفوعا لما عدل عنه. قال ابن جرير : عن الحسن (جعلا له شركاء فيما آتاهما) قال: كان هذا فى بعض أهل الملل ولم يكن بآدم . ثم روى عن الحسن أيضاً « عني بها ذرية آدم ومن أشرك منهم بعده » وعن الحسن أيضاً قال : هم اليهود والنصاري رزقهم الله أولاداً فهودوهم ونصروهم ثم قال ابن كثير : وهذه أسانيد صحيحة عن الحسن : أنه فسر =

فصل

قد عرفت من هذا كله : أن من اعتقد فى شجر أو حجر ، أو قبر أو ملك أو جنى أو حى أو ميت : أنه ينفع أو يضر أو أنه يقرب

= الآية بذلك . وهو من أحسن التفاسير ، وأولى ما حملت عليه الآية . ولو كان هذا الحديث محفوظا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عدل عنه هو ولا غيره ، ولا سيما مع تقواه لله وورعه . فهذا يدلك على أنه موقوف على الصحابى ويحتمل أنه تلقاه من بعض أهل الكتاب ، مثل كعب الأحبار ووهب بن منبه أو غيرهما

ثم روى ابن كثير آثاراً عن ابن عباس وغيره ، ثم قال: وهذه الآثار يظهر عليها — والله أعلم — أنها من آثار أهل الكتاب — إلى أن قال — وأما نحن : فعلى مذهب الحسن البصرى فى هذا ، وأنه ليس المراد من هذا السياق آدم وحواء . وإنما المراد من ذلك المشركون من ذريته . ولهذا قال الله (فتعالى الله عما يشركون) اه

ومن أعجب العجب أن يقول المفسرون : إن آدم أشرك بعد أن ذكر الله أنه تاب عليه واجتباه . والآية واضحة فى شرك قريش ومن بعدهم من كل من اتخذ من دون الله أولياء وأنداداً . ومساقها لإقامة الحجة عليهم بأن الله هو الذي خلقهم من بطون أمهاتهم =

إلى الله ، أو يشفع عنده فى حاجة من حوائج الدنيا بمجرد التشفع به والتوسل إلى الرب تعالى - إلا ما ورد فى حديث فيه مقال فى حق نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أو نحو ذلك[١] فإنه قد أشرك

= وظهور آبائهم ، كما يخلق لهم ذرياتهم التى يرونها بأنفسهم ، فكيف يرون ويحسون تلك الآيات من قدرة الله ورحمته وحده . ثم يتخذون من دونه الشركاء ، فيدعون أولياءهم عند وضع هذه الأجنة ، وتنادى المرأة: يا أم هاشم، يا بدوى، يا ابن عباس وغيرهم ممن كانوا هم أجنة فى بطون أمهـــاتهم ، خلقهم الله وصورهم ، وأخرجهم إلى هذه الحيـاة ، وعلمهم العلم ، وهداهم إلى صراطه المستقيم ، إن كانوا من المؤمنين ، مثل ابن عباس أو الحسين مثلا.

وأدل الدليل على ذلك : سياق الآيات قبل وبعد ، إذ يقول الله بعدها (أيشركون مالا يخلق شيئا وهم يخلقون — إلى أن قال — إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم — الآيات » فهى واضحة لا خفاء بها : أنها خطاب وتنديد وتقريع للمشركين فى كل زمن وكل بلد . والله أعلم

(١) المراد حديث توسل الأعمى وهو حديث ضعيف واه ، ومع ذلك فليس فيه مايخل بالتوحيد كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية =

مع الله غيره ، واعتقد مالا يحل اعتقاده ، كما اعتقد المشركون فى الأوثان فضلا عمن ينذر بماله وولده لميت أو حى ، أو يطلب من ذلك الميت مالا يطلب إلا من الله تعالى من الحاجات : من عافية مريضه ، أو قدوم غائبه ، أو نيله لأى مطلب من المطالب . فإن هذا هو الشرك بعينه ، الذى كان ويكون عليه عباد الأصنام .

والنذر بالمال على الميت ونحوه ، والنحر على القبر والتوسل به وطلب الحاجات منه هو بعينه الذى كانت تفعله الجاهلية . وإنما كانوا يفعلونه لما يسمونه وثنا وصنما[1] . وفعله القبوريون لما يسمونه

= رحمه الله فى كتاب التوسل والوسيلة . وهو كتاب لا يستغنى عنه مسلم في هـذا العصر ، كشأن كل كتب شيخ الإسلام وتلميذه العلامة ابن القيم رحمهما الله .

(١) كلا ، لم يكونوا يسمونهم كذلك ، وإنما كانوا يسمونهم أولياء ، كما حكى الله تعالى عنهم ، إذ يقول(٣٩ : ٣ والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) ، ويقول : (٤٢ : ٦ والذين اتخذوا من دونه أولياء ، الله حفيظ عليهم وما أنت عليهم بوكيل) ويقول (٤٢: ٩ أم اتخذوا من دونه أولياء =

ولياً وقبراً ومشهداً ، والأسماء لا أثر لها ولا تغير المعانى ، ضرورة لغوية وعقلية وشرعية . فإن من شرب الخمر وسماها ماء : ماشرب إلا خمرا ، وعقابه عقاب شارب الخمر . ولعله يزيد عقابه للتدليس والكذب فى التسمية .

وقد ثبت فى الأحاديث أنه يأتى قوم يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها ، وصدق صلى الله عليه وسلم : فإنه قد أتى طوائف من الفسقة يشربون الخمر ويسمونها نبيذاً . وأول من سمى ما فيه غضب الله وعصيانه بالأسماء المحبوبة عند السامعين : إبليس لعنه الله فإنه قال لأبى البشر آدم عليه السلام (٢٠ : ١٢٠ يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟) فسمى الشجرة التى

= فالله هو الولى وهو يحيى الموتى) وهذا فى القرآن كثير جداً ، مما يدل على أنه لا فرق مطلقا بين البدوى وابن عربى وأمثالهما من أوليائهم وبين اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى . عباد من بنى آدم ، زعم الأولون أنهم أولياء فاتخذوا قبورهم معابد ، كذلك صنع الآخرون حذوك النعل بالنعل ، كما أخبر الصادق صلى الله عليه وسلم : « لتركبن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعا بذراع »

نهى الله تعالى آدم عن قربانها شجرة الخلد ، جذبا لطبعه إليها ، وهزًّا لنشاطه إلى قربانها ، وتدليساً عليه بالاسم الذى اخترعه لها، كما يسمى إخوانه المقلدون له الحشيشة : بلقمة الراحة . وكما يسمى الظلمة ما يقبضونه من أموال عباد الله ظلماً وعدواناً : أدبا . فيقولون : أدب القتل ، أدب السرقة ، أدب التهمة ، بتحريف اسم الظلم إلى اسم الأدب ، كما يحرفونه فى بعض المقبوضات إلى اسم الشفاعة ، وفى بعضها إلى اسم السياقة . وفى بعضها أدب المكاييل والموازين . وكل ذلك اسمه عند الله : ظلم وعدوان . كما يعرفه من شم رائحة الكتاب والسنة ، وكل ذلك مأخوذ عن إبليس ، حيث سمى الشجرة المنهى عنها شجرة الخلد .

وكذلك تسمية القبر مَشهداً ومن يعتقدون فيه وليا: لايخرجه عن اسم الصنم والوثن ، إذ هم معاملون لها معاملة المشركين للأصنام ويطوفون بهم طواف الحجاج ببيت الله الحرام ، ويستلمونهم استلامهم لأركان البيت ، ويخاطبون الميت بالكلمات الكفرية من قولهم : على الله وعليك ، ويهتفون بأسمائهم عند الشدائد

ونحوها وكل قوم لهم رجل ينادونه . فأهل العراق والهند يدعون عبد القادر الجيلى ، وأهل التهائم لهم فى كل بلد ميت يهتفون باسمه يقولون : يازيلعى ، ياابن العجيل ، وأهل مكة وأهل الطائف يا ابن العباس ، وأهل مصر : يا رفاعى ، يا بدوى . والسادة البكرية : وأهل الجبال : يا أبا طير ، وأهل اليمن : ياابن علوان . وفى كل قرية أموات يهتفون بهم و ينادونهم و يرجونهم لجلب الخير ودفع الضر . وهذا هو بعينه فعل المشركين فى الأصنام . كما قلنا فى الأبيات النجدية :

أعادوا بها معنى سواع ومثله — يغوث وود، ليس ذلك من ودى
وقد هتفوا عند الشدائد باسمها — كما يهتف المضطر بالصمد الفرد
وكم نحرو فى سوحها من نحيرة — أهلت لغير الله جهلا على عمد
وكم طائف حول القبور مقبلا — و يلتمس الأركان منهن بالأيدى

فإن قال : إنما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه . فقل : إن كان النحر لله فلأى شىء قربت ما تنحره من باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه ؟ هل أردت بذلك تعظيمه ؟ إن قال : نعم ،

فقل له : هذا النحر لغير الله ، بل أشركت مع الله تعالى غيره ، وإن لم ترد تعظيمه ، فهل أردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين إليه ؟ أنت تعلم يقينا : أنك ما أرت ذلك أصلا ، ولا أردت إلا الأول ، ولا خرجت من بيتك إلا قصداً له [1] ثم كذلك دعاؤهم له .

(١) وكيف يخدع الشيطان هذا الغبى وأمثاله بقولهم : إننا ننحرها لله ونهب ثوابها للولى . وهو ما اشتراها إلا بإسم وليه ، وما أطعمها وسقاها ولا سرحت ولا راحت ولا دخلت ولا خرجت إلا بإسم وليه ، ولا يطعمها من يطعمها إلا على البركة بإسم هذا الولى ، فياعجباً ماذا بلغ من غباوة هؤلاء وضلالهم وتغرير الشيطان بهم؟ لأنهم مقلدون عميان (صم بكم عمى فهم لا يعقلون) لا فرق فيهم بين معمم يدعى العلم زوراً وبهتانا ، وهو من أجهل خلق الله بالعلم المنزل ، بل من أشدهم عداوة له ، وبين غير معمم فالكل « كالأنعام بل هم أضل سبيلا » واسمع إلى قول الله فى ذلك (٦ : ١٢١ ، ١٢٢ ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق ، وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطعمتموهم إنكم لمشركون ، أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا =

فهذا الذى عليه هؤلاء : شرك بلا ريب .

وقد يعتقدون فى بعض فسقة الأحياء . وينادونه فى الشدة والرخاء . وهو عاكف على القبائح والفضائح ، لا يحضر حيث أمر الله عباده المؤمنين بالحضور هناك ، ولا يحضر جمعة ولا جماعة ولا يعود مريضاً ولا يشيع جنازة ، ولا يكتسب حلالا ، ويضم

= له نوراً يمشى به فى النـاس كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها ؟ كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) فانظر وتفكر يامن أحيـا الله قلبه بالقرآن والسنة ، وجعل له من فهمهما واتباعهما نوراً يمشى بين أولئك العمى الذين لايفقهون، كيف إن الله حذرك من أن تخدع نفسك بمـا يوحى به شيـاطين الجن والإنس إلى أوليائهم : بأنهم قد قالوا عند الذبح : باسم الله الله أكبر . واعلم أن ذلك لايمكن أن يمحـو ما فى قلوبهم من الشرك الأكبر الذى أنطق ألسنتهم عند شراء الشاة للولى ،ودعائها بالليل والنهار : شاة فلان أو فلانة ، حتى إنهم ليتبركون بها ، لأنهـا منسوبة إلى وليهم وإلههم. واعلم بأن تسميتهم الله عند ذبحها لايغير حقيقة شركهم بها، لأنهم إنما يطعمونهـا على على بركة الولى والولية ، والتسمية تجرى على ألسنتهم عادة لا عبادة .

إلى ذلك دعوى التوكل وعلم الغيب[1] ، ويجلب إليه إبليس جماعة قد عشش فى قلوبهم ، وباض فيها وفرخ ، يصدقون بهتانه ويعظمون شأنه ، ويجعلون هذا نداً لرب العالمين ومثلا ، فياللعقول أين ذهبت ؟ وياللشرائع كيف جهلت ؟ (٧: ١٥٤ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) .

فان قلت: أفيصير هؤلاء الذين يعتقدون فى القبور والأولياء والفسقة والخلعاء مشركين ، كالذين يعتقدون فى الأصنام ؟ .

قلت : نعم ، قد حصل منهم ما حصل من أولئك ، وساووهم فى ذلك ، بل زادوا فى الاعتقاد والانقياد والاستعباد ؛ فلا فرق بينهم .

فان قلت : هؤلاء القبوريون يقولون : نحن لا نشرك بالله تعالى ، ولا نجعل له نداً ، والالتجاء إلى الأولياء ليس شركا .

---

(١) وإنما هو التواكل ، والعيش على السحت الذى يبتزه من أشباه الأنعام ، و دعوى التصرف فى الكون ، وأن الله قد اتخذه وكيلا عنه . سبحان الله وتعالى عما يقولون علواً كبيرا .

قلت : نعم (يقولون بأفواههم ماليس فى قلوبهم) لكن هذا جهل منهم بمعنى الشرك . فان تعظيمهم الأولياء، ونحرهم النحائر لهم شرك . والله تعالى يقول (فصل لربك وانحر) أى لا لغيره ، كما يفيده تقديم الظرف [(١)] ويقول تعالى (٧٢ : ١٨ وأن المساجد لله ، فلا تدعوا مع الله أحداً) [(٢)] وقد عرفت بما قدمناه قريباً أنه صلى الله عليه وسلم سمى الرياء شركا فكيف بما ذكرناه ؟

فهذا الذى يفعلونه لأوليائهم : هو عين ما فعله المشركون وصاروا به مشركين ، ولا ينفعهم قولهم : نحن لانشرك بالله شيئاً . لأن فعلهم أكذب قولهم [(٣)]

---

(١) يريد تقديم الجار والمجرور « لربك » فإن معنى الآية : فانحر لربك لا لغيره . (٢) وقد حكى الله عن هؤلاء : أنهم قالوا (٦ : ٢٣ والله ربنا ما كنا مشركين) وبناء المسجد والقبة على الميت : يصرف الناس — ولا بد — إلى دعاء القبور ، فلا يكون المسجد لله إلا إذا طهر من القباب والقبور

(٣) وتدبر لماذا قرن الله النهى عن دعاء غيره بإلزام أن تكون المساجد لله وحده ، تعرف من ذلك أن بناء المساجد على =

فإن قلت : هم جاهلون أنهم مشركون بما يفعلونه

قلت : قد خرَّج الفقهاء فى كتب الفقه فى باب الردة : أن من تكلم بكلمة الكفر يكفر ؛ وإن لم يقصد معناها . وهذا دال على أنهم لا يعرفون حقيقة الاسلام ، ولا ماهية التوحيد ، فصاروا حينئذ كفاراً كفراً أصليا . فالله تعالى فرض على عباده

= القبور باسم الأولياء لابد أن يفضى إلى دعاء غير الله وعبادته مع الله . ولذلك لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى المساجد على القبور وأسرجها وعظمها ، والله عليم حكيم . وان الواقع الآن فى البلاد والقرى يدل لذلك دلالة واضحة . فإن المقابر الدائرة التى لم تبن عليها القباب ولم تقم عليها الأنصاب والمقاصير : فيها كثير من الصحابة والأئمة والصالحين ، لم يفتن بها أحد ، بل لا يخطر على بال أحد زيارتها للموعظة ، فى حين أن كثيراً من الموتى الفاسقين والكافرين من الصوفية يعبدون من دون الله بكل أنواع العبادة . لأنهم قد بنيت على قبورهم القباب وشيدت عليها المساجد . فكانت أفصح لسان للدعوة إلى عبادتهم من دون الله . فنسأل الله أن يعجل بهدم هذه الانصاب والقباب وتطهير الأرض منها ، كما أمر الله ورسوله .

إفراده بالعبادة (أن لا تعبدوا إلا الله) وإخلاصهـا (٩٨ : ٥ وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين) الآية . ومن نادى الله ليلا ونهاراً ، وسراً وجهاراً ، وخوفاً وطمعا . ثم نادى معه غيره ، فقد أشرك فى العبادة . فإن الدعاء من العبادة . وقد سماه الله تعالى عبادة في قوله تعالى : (٤٠ : ٦٠ إن الذين يستكبرون عبادتى) بعد قوله (أدعونى أستجب لـكم) (١)

فإن قلت : فاذا كانوا مشركين وجب جهادهم والسلوك فيهم ما سلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المشركين .

قلت : إلى هذا ذهب طائفة من أئمة العلم . فقالوا : يجب أولاً دعاؤهم إلى التوحيد ، وإبانة أن ما يعتقدونه ينفع ويضر

---

(١) بل سماه الله الدين ، إذ يقول (٧ : ٢٩ وادعوه مخلصين له الدين) أى مخلصين له الدعاء الذى هو لب الدين وخالصه ، ويقول (٤٠ : ١٤ فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الـكافرون) ويقول : (٤٠ : ٦٥ هو الحى لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين . الحمد لله رب العالمين)

لايغنى عنهم من الله شيئاً، وأنهم أمثالهم ، وأن هذا الاعتقاد منهم فيهم شرك ، لا يتم الإيمان بما جاءت به الرسل إلا بتركه والتوبة منه . و إفراد التوحيد — اعتقاداً وعملا — لله وحده. وهذا واجب على العلماء ، أى بيان أن ذلك الاعتقاد الذى تفرعت عنه النذور والنحائر والطواف بالقبور : شرك محرم ، وأنه عين ما كان يفعله المشركون لأصنامهم . فإذا أبان العلماء ذلك للأئمة والملوك وجب على الأئمة والملوك بعث دعاة إلى النـاس يدعونهم إلى إخلاص التوحيـد لله . فمن رجع وأقرّ حَقَنَ عليه دمه وماله وذراريه . ومن أصر فقد أباح الله منه ماأباح لرسوله صلى الله عليه وسلم من المشركين .

فإن قلت : الاستغاثة قد ثبتت فى الأحاديث . فإنه قد صح أن العباد يوم القيامة يستغيثون بآدم أبى البشر ، ثم بإبراهيم ، ثم بموسى ثم بعيسى ، و ينتهون إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، بعد اعتذار كل واحد من الأنبياء . فهذا دليل على أن الاستغاثة بغير الله ليست بمنكر .

قلت : هذا تلبيس . فإن الاستغاثة بالمخلوقين الأحياء فيما يقدرون عليه لا ينكرها أحد . وقد قال الله تعالى فى قصة موسى مع الاسرائيلى والقبطى (٢٨ : ١٥ فاستغاثه الذى من شيعته على الذى من عدوه) وإنما الكلام فى استغاثة القبوريين وغيرهم بأوليائهم ، وطلبهم منهم أموراً لا يقدر عليها إلا الله تعالى : من عافية المريض وغيرها . بل أعجب من هذا : أن القبوريين وغيرهم من الأحياء من أتباع من يعتقدون فيه : يجعلون له حصة من الولد إن عاش ، ويشترون منه الحمل فى بطن أمه ليعيش ، ويأتون بمنكرات مابلغ إليها المشركون الأولون . ولقد أخبرنى بعض من يتولى قبض ما ينذر القبوريون لبعض أهل القبور : أنه جاء إنسان بدراهم وحلية نساءه ، وقال : هذه لسيده فلان — يريد صاحب القبر — نصف مهر ابنتى . لأنى زوجتها وكنت ملّكت نصفها فلانا — يريد صاحب القبر .

وهذه النذور بالأموال ، وجعل قسط للقبر، كما يجعلون شيئاً من الزرع يسمونه « تلما » فى بعض الجهات اليمنية . وهذا شيء مابلغ

إليه عباد الأصنام ، وهو داخل تحت قول الله تعالى (١٦ : ٥٦ ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) بلا شك ولا ريب .

نعم استغاثه العباد يوم القيامة وطلبهم من الأنبياء إنما يدعون الله تعالى ليفصل بين العباد بالحساب ، حتى يريحهم من هول الموقف وهذا لا شك فى جوازه ، أعنى طلب الدعاء لله تعالى من بعض عباده لبعض ، بل قال صلى الله عليه وسلم لعمر رضى الله عنه لما خرج معتمراً « لا تنسنا يا أخى من دعائك » وأمرنا سبحانه أن ندعو للمؤمنين ونستغفر لهم فى قوله تعالى (٥٩ : ١٠ ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان) وقد قالت أم سليم رضي الله عنها : « يارسول الله خادمك أنس ، أدع الله له » وقد كان الصحابة رضى الله عنهم يطلبون الدعاء منه صلى الله عليه وسلم وهو حىٌّ وهذا أمر متفق على جوازه . والكلام فى طلب القبوريين من الأموات أومن الأحياء الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضراً ولا موتا ولا حياة ولا نشوا أن يشفوا مرضاهم ، ويردوا غائبهم ، وينفسوا عن حبلاهم ، وأن يسقوا زرعهم ، ويدروا ضروع مواشيهم ، ويحفظوها من العين ،

ونحو ذلك من المطالب التى لا يقدر عليها إلا الله ـ هؤلاء هم الذين قال الله تعالى فيهم (٧ : ١٩٧ والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون) (٧ : ١٩٤ إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) فكيف يطلب الإنسان من الجماد أو من حى ـ الجماد خير منه ـ لأنه لا تكليف عليه.

وهذا يبين ما فعله المشركون الذين حكى الله ذلك عنهم فى قوله تعالى (٦:١٣٦ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا، فقالوا : هذا لله بزعمهم ، وهذا لشركائنا) الآية . وقال (١٦:٥٦ ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسألن عما كنتم تفترون)

فهؤلاء القبوريون والمعتقدون فى جهال الأحياء وضلالهم سلكوا مسالك المشركين حَذْو القُذَّة بالقذة[1] فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يعتقد إلا فى الله ، وجعلوا لهم جزءا من المال ، وقصدوا قبورهم من ديارهم البعيدة للزيارة ، وطافوا حول قبورهم ، وقاموا خاضعين عند قبورهم ، وهتفوا بهم عند الشدائد ، ونحروا تقربا إليهم ـ

(١) القذة ـ بضم القاف ـ ريش السهم .

وهذه هى أنواع العبادات التى عرفناك ـ ولا أدرى : هل فيهم من يسجد لهم ؟ لا أستبعد أن فيهم من يفعل ذلك ، بل أخبرنى من أثق به أنه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولى الذى يقصده ، تعظيما له وعبادة ، و يقسمون بأسمائهم . بل إذا حلف من عليه حق باسم الله تعالى لم يقبلوا منه فإذا حلف بإسم ولى من أوليائهم قبلوه وصدقوه . وهكذا كان عباد الأصنام (٣٩:٤٥ إذا ذُكر الله وحده اشمأزَّت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة ، و إذا ذكر الذين من دونه إذا هم يستبشرون) وفى الحديث الصحيح « من كان حالفا حلف فليحلف بالله أو ليصمت » وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يحلف باللات ، فأمره أن يقول « لا إله إلا الله » وهذا يدل على أنه ارتد بالحلف بالصنم [1] فأمره أن

---

(١) كان ينبغى أن يقول : لأنه حلف بغـير الله ؛ إذ لا فرق فى تعظيم المحلوف بين الصنم وغيره ، وقد قال صلى الله عليه وسـلم «من حلف بغير الله فقد أشرك» رواه أحمد وأبو داود والترمذى ، ولفظهما «فقد كفر» وصححه الحاكم ، بل الحلف به قد جعله =

يجدد إسلامه . فإنه قد كفر بذلك ، كما قررناه فى «سبل السلام شرح بلوغ المرام» وفى « منحة الغفار »

فإن قلت : لاسواء . لأن هؤلاء قد قالوا « لا إله إلا الله »

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم « أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها » وقال لأسامة بن زيد « قتلته بعدما قال : لا إله إلا الله» ؟ وهؤلاء يصلون ويصومون ويزكون ويحجون ، بخلاف المشركين

قلت : قد قال صلى الله عليه وسلم « إلا بحقها » وحقها :

= صنما ونداً لله . لأن فى الحلف نوعا من تعظيم العبادة . لأن معناها : أقسم بهذا الذى أحلف به أنى صادق ، وإن كنت كاذباً ينتقم منى انتقاماً لا أستطيع ولا يستطيع أحد دفعه عقاباً لى على الحلف به كاذباً . وهم يحكون فى ذلك حكايات اختلقوها : أن حالفاً حلف بالولى كاذباً أنه ما سرق سمكة . فما كاد ينتهى من حلفه حتى تصرف الولى فيه وأخرجها من بطنه . وأمثال هذا كثير عند سدنة هذه الأوثان يختلقونها ويذيعونها فى العامة ترويجاً لتجارتهم الخاسرة . قبحهم الله .

إفراد الإلهية والعبودية لله تعالى . والقبوريون لم يفردوا الإلهية والعبادة . فلم تنفعهم كلمة الشهادة. فإنها لا تنفع إلا مع التزام معناها كما لم ينفع اليهود قولها لإنكارهم بعض الأنبياء . وكذلك من جعل غير من أرسله الله نبياً : لم تنفعه كلمه الشهادة . ألا ترى أن بنى حنيفة كانوا يشهدون أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ويصلون ، ولكنهم قالوا : إن مسيلمة نبي . فقاتلهم الصحابة وسبوهم ، فكيف بمن يجعل للولى خاصة الالهية وينادية للمهمات ؟ وهذا أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه حرّق أصحاب عبد الله بن سبأ ، وكانوا يقولون : نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولكن غلوا فى على رضى الله عنه ، واعتقدوا فيه ما يعتقد القبوريون وأشباههم . فعاقبهم عقوبة لم يعاقب بها أحداً من العصاة ، فإنه حفر لهم الحفائر ، وأجج لهم ناراً وألقاهم فيها . وقال :

إنى إذا رأيت الأمر أمراً منكراً

أججت نارى ، ودعوت قنبرا

وقال الشاعر فى عصره :

لِتَرْمِ بى المنية حتى شاءت إذا لم ترم بى فى الحفرتين
إذا ما أججوا فيهن ناراً رأيت الموت نقداً غير دين

والقصة فى فتح البارى وغيره من كتب الحديث والسير

وقد وقع إجماع الأمة على أن من أنكر البعث كفر وقتل ، ولو قال : لا إله إلا الله ، فكيف بمن يجعل لله نداً ؟ .

فإن قلت : قد أنكر صلى الله عليه وسلم على أسامة قتله لمن قال « لا إله إلا الله » كما هو معروف فى كتب الحديث والسير

قلت : لاشك أن من قال : لا إله إلا الله من الكفار حقن دمه وماله ، حتى يتبين منه مايخالف ماقاله ، ولذا أنزل الله فى قصة مُحَلِّم بن جَثَّامة (٤ : ٩٤ ياأيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ـ الآية) فأمرهم الله تعالى بالتثبت فى شأن من قال كلمة التوحيد . فإن التزم لمعناها كان له ماللمسلمين وعليه ما عليهم ، وإن تبين خلافه : لم يحقن دمه وماله بمجرد التلفظ . وهكذا كل من أظهر التوحيد ، وجب الكف عنه إلى أن

يتبين منه مايخالف ذلك ، فإذا تبين لم تنفعه هذه الكلمة بمجردها . ولذلك لم تنفع اليهود ، ولا نفعت الخوارج مع ما انضم إليها من العبادة ، التى يحتقر الصحابة عبادتهم إلى جنبها ، بل أمر صلى الله عليه وسلم بقتلهم ، وقال « لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد » وذلك لما خالفوا بعض الشريعة . وكانوا شر القتلى تحت أديم السماء ، كما ثبتت به الأحاديث .

فثبت أن مجرد كلمة التوحيد غير مانع من ثبوت شرك من قالها لارتكابه مايخالفها من عبادة غير الله .

فإن قلت : القبوريون وغيرهم — من الذين يعتقدون فى فسقة الناس وجهالهم من الأحياء — يقولون : نحن لانعبد هؤلاء ، ولا نعبد إلا الله وحده ؛ ولا نصلى لهم ، ولا نصوم ، ولا نحج .

قلت : هذا جهل بمعنى العبادة ؛ فإنها ليست منحصرة فيما ذكرت . بل رأسها وأساسها الاعتقاد . وقد حصل فى قلوبهم ذلك ، بل يسمونه معتقداً . ويصنعون له ماسمعته مما تفرع عن الاعتقاد : من دعائهم ، وندائهم ، والتوسل بهم ، والاستغاثة والاستعانة ، والحلف النذر وغير ذلك . وقد ذكر العلماء : أن من

تزيّى بزى الكفار صار كافرا ، ومن تكلم بكلمة الكفر صار كافرا . فكيف بمن بلغ هذه الرتبة اعتقاداً وقولاً وفعلا ؟ .

فإن قلت : هذه النذور والنحائر ماحكمها ؟ .

قلت : قد علم كل عاقل : أن الأموال عزيزة عند أهلها ، يسعون فى جمعها ، ولو بارتكاب كل معصية ، و يقطعون الفيافى من أدنى الأرض والأقاصى . فلا يبذل أحد من ماله شيئاً إلا معتقداً الجلب نفع أكثر منه ، أو دفع ضرر . فالناذر للقبر ماأخرج ماله إلا لذلك . وهذا اعتقاد باطل ، ولو عرف الناذر بطلان ماأراده : ماأخرج درهما ، فإن الأموال عزيزة عند أهلها ، قال تعالى (٤٧ : ٣٦ ، ٣٧ ولا يَسْأَلْكم أموالكم ، إن يسألكموها فَيُحْفِكم تبخلوا ، ويخرجْ أضغانكم) فالواجب تعريف من أخرج النذر بأنه إضاعة لماله . وأنه لا ينفعه مايخرجه ولا يدفع عنه ضررًا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم « إن النذر لايأتى بخير ، و إنمايستخرج به من البخيل »[1] ويجب رده إليه ،

---

(١) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر .

وأما القابض للنذر : فإنه حرام عليه قبضه . لأنه أكل لمال الناذر بالباطل ، لا في مقابلة شيء ، وقد قال تعالى (٢:١٨٨ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) ولأنه تقرير الناذر على شركه وقبح اعتقاده ؛ ورضاه بذلك ، ولا يخفى حكم الراضي بالشرك (٤:٤٨ إن الله لا يغفر أن يشرك به ــ الآية) فهو مثل حلوان الكاهن ومهر البغي ، ولأنه تدليس على الناذر ؛ وإيهام له أن الولى ينفعه ويضره . فأى تقرير لمنكر أعظم من قبض النذر على الميت ؟ وأى تدليس أعظم ، وأى رضًى بالمعصية العظمى أبلغ من هذا ؟ وأى تصيير لمنكر معروفا أعجب من هذا ؟ وما كانت النذور للأصنام والأوثان إلا على هذا الأسلوب : يعتقد الناذر جلب النفع في الصنم ودفع الضرر ، فينذرله جَزورًا من ماله ، ويقاسمه في غلات أطيانه ، ويأتى به إلى سدنة الأصنام فيقبضونه منه ، ويوهمونه حقية عقيدته ، وكذلك يأتى ببحيرته ، فينحرها بباب الصنم ، وهذه الأفعال : هي التى بعث الله الرسل لإزالتها ومحوها وإتلافها والنهى عنها .

فإن قلت : إن الناذر قد يدرك النفع ودفع الضرر بسبب إخراجه للنذر و بذله .

قلت : كذلك الأصنام قد يدرك منها ماهو أبلغ من هذا وهو الخطاب من جوفها ، والإخبار ببعض ما يكتمه الإنسان . فإن كان هذا دليلاً على حقية القبور وصحة الاعتقاد فيها : فليكن دليلا على حقية الأصنام ، وهذا هدم للإسلام ، وتشييد لأركان الأصنام .

والتحقيق : أن لإبليس وجنوده من الجن والإنس أعظم العناية فى إضلال العباد . وقد مكّن الله إبليس من الدخول فى الأبدان والوسوسة فى الصدور والتقام القلب بخرطومه . فكذلك يدخل أجواف الأصنام ، ويلقى الكلام فى أسماع الأقوام ، ومثله يصنعه فى عقائد القبوريين ، فإن الله تعالى قد أذن له أن يجلب بخيله ورجله على بنى آدم ، وأن يشاركهم فى الأموال والأولاد ، وثبت فى الأحاديث « أن الشيطان يسترق السمع بالأمر الذى يحدثه الله، فيلقيه إلى الكهان — وهم الذين يخبرون بالمغيبات

ويزيدون فيما يلقيه الشيطان من عند أنفسهم مائة كذبة »
ويقصد شياطين الجن شياطين الإنس من سدنة القبور وغيرهم .
فيقولون : إن الولى فعل وفعل ، يُرغِّبونهم فيه ويحذرونهم منه ،
وترى العامةُ ملوكَ الأقطار وولاة الأمصار معززين لذلك ،
ويولون العمال لقبض النذور . وقد يتولاها من يحسنون فيه الظن
من عالم أو قاض أو مفت ، أو شيخ صوفى ، فيتم التدليس لإبليس
وتقر عينه بهذا التلبيس .

فإن قلت : هذا أمر عمّ البلاد ، واجتمعت عليه سكان
الأغوار والأنجاد ، وطبّق الأرض شرقا وغربا ، ويمناً وشاماً
وجنوباً وعدناً . بحيث لا تجد بلدة من بلاد الإسلام إلا وفيها
قبور ومشاهد وأحياء يعتقدون فيها ويعظمونها ، وينذرون لها ،
ويهتفون بأسمائها ، ويحلفون بها ، ويطوفون بفناء القبور ،
ويسرجونها ويلقون عليها الأوراد والرياحين ، ويلبسونها الثياب
ويصنعون كل أمر يقدرون عليه من العبادة لها ، وما فى معناها
من التعظيم والخضوع والخشوع والتذلل والافتقار إليها ، بل هذه

مساجد المسلمين غالبها لا يخلو عن قبر أو قريب منه . أو مشهد يقصده المصلون فى أوقات الصلاة ، يصنعون فيه ماذكر ، أو بعض ماذكر ، ولا يسع عقل عاقل أن هذا منكر يبلغ إلى ماذكرتَ من الشناعة ، ويسكت عليه علماء الإسلام الذين ثبتت لهم الوطأة فى جميع جهات الدنيا .

قلت : إن أردت الانصاف ، وتركت متابعة الاسلاف وعرفت أن الحق : ما قام عليه الدليل ، لا مااتفق عليه العوالم جيلا بعد جيل وقبيلا بعد قبيل ، فاعلم أن هذه الأمور التى نُدَنْدِن حول إنكارها ونسعى فى هدم منارها : صادرة عن العامة الذين إسلامهم تقليد الآباء بلا دليل ، ومتابعتهم لهم من غير فرق بين دنى ومثيل ، ينشأ الواحد فيهم فيجد أهل قريته وأصحاب بلدته يلقنونه فى الطفولية : أن يهتف باسم من يعتقدون فيه ، ويراهم ينذرون عليه ويعظمونه ، ويرحلون به إلى محل قبره ، ويلطخونه بترابه ويجعلونه طائفا على قبره . فينشأ وقد قرَّ فى قلبه عظمة مايعظمونه وقد صار أعظم الأشياء عنده من يعتقدونه ، فنشأ على هذا الصغير

وشاخ عليه الكبير . ولا يسمعون من أحد عليهم من نكير .
بل ترى من يتسّم بالعلم ويدعى الفضل ، وينتصب للقضاء والفتيا
والتدريس أو الولاية أو المعرفة ، أو الإمارة والحكومة ، معظماً
لما يعظمونه مكرماً لما يكرمونه ، قابضا للنذور ، آكلا ماينحر
على القبور ، فيظن العامة أن هذا دين الإسلام وأنه رأس الدين
والسنام ولا يخفى على أحد يتأهل للنظر ، ويعرف بارقة من علم
الكتاب والسنة والأثر : أن سكوت العالِم أو العالَم على وقوع
منكر ليس دليلا على جواز ذلك المنكر .

ولنضرب لك مثلا من ذلك . وهى هذه المكوس المسماة
بالمجابى ، المعلوم من ضرورة الدين تحريمها . قد ملأت الديار والبقاع
وصارت أمراً مأنوسا لايلج إنكارها إلى سمع من الأسماع ، وقد
امتدت أيدى المكاسين فى أشرف البقاع فى مكة أم القرى ؛
يقبضون من القاصدين لأداء فريضة الإسلام ، ويلقون فى البلد
الحرام كل فعل حرام ، وسكانها من فضلاء الأنام . والعلماء
والحكام ، ساكتون عن الانكار ، معرضون عن إيراده

والإصدار ـ أفيكون السكوت دليلا على حل أخذها و إحرازها ؟ هذا لا يقوله من له أدنى إدراك

بل أضرب لك مثلا آخر . هذا حرم الله الذى هو أفضل بقاع الدنيا بالاتفاق ، و إجماع العلماء أحدث فيه بعض ملوك الشرا كسة الجهلة الضلال : هذه المقامات الأربعة، التى فرقت عبادات العباد ، واشتملت على مالا يحصيه إلا الله عز وجل من الفساد ، وفرقت عبادات المسلمين ، وصيرتهم كالملل المختلفة فى الدين ، بدعة قرت بها عين إبليس اللعين ، وصيرت المسلمين ضحكة للشياطين وقد سكت الناس عليها ، ووفد علماء الآفاق والابدال والأقطاب إليها [1] ، وشاهدها كل ذي عينين ، وسمع بها كل ذى أذنين ،

(١) هذا خطأ منه رحمه الله . فلا أبدال ولا أقطاب . فما كان الشرك والبلاء إلا من الصوفية الذين زعموا الأبدال والأقطاب . أو لعل الشيخ رحمه الله يقصد : الذين يعتقدهم الناس كذلك ، رأوا هذه المناكير ولم يغيروها . وقد بطل ذلك المنكر بحمد الله من يوم دخلت الحجاز فى حكم جلالة الملك ابن السعود أدام الله توفيقه لإحياء السنة وإماتة البدعة، كما هدم القباب التى كانت فى الحجاز وطهر =

أفهذا السكوت دليل على جوازها ؟ هذا لا يقوله من له إلمام بشيء من المعارف .

كذلك سكوتهم على هذه الأشياء الصادرة من القبوريين

فإن قلت : يلزم من هذا أن الأمة قد اجتمعت على ضلالة ، حيث سكتت عن إنكارها لأعظم جهالة

قلت : حقيقة الاجماع : اتفاق مجتهدى أمة محمد صلى الله عليه وسلم على أمر بعد عصره ، وفقهاء المذاهب الأربعة يحيلون الاجتهاد من بعد الأربعة ، وإن كان هذا قولاً باطلاً ، وكلاماً لا يقوله إلا من كان للحقائق جاهلاً . فعلى زعمهم : لا إجماع أبداً من بعد الأئمة الأربعة . فلا يرد السؤال ، فإن هذا الابتداع والفتنة بالقبور لم يكن على عهد أئمة المذاهب الأربعة .

وعلى ما نحققه : فالإجماع وقوعه محال . فإن الأمة المحمدية قد ملأت الآفاق ، وصلت فى كل أرض وتحت كل نجم ،

= الأرض منها ، فجزاه الله خير الجزاء ووفقه لإبطال كل منكر، وإحياء كل معروف ، وإقامة الحكم الصحيح الصالح بالكتاب والسنة.

فعلماؤها المحققون لا ينحصرون ، ولا يتم لأحد معرفة أحوالهم . فمن ادعى الإجماع بعد انتشار الدين ، وكثرة علماء المسلمين : فانها دعوى كاذبة . كما قاله أئمة التحقيق .

ثم لو فرض أنهم علموا بالمنكر وما أنكروه . بل سكتوا عن إنكاره . لما دل سكوتهم على جوازه . فإنه قد علم من قواعد الشريعة : أن وظائف الإنكار ثلاثة

أولها : الإنكار باليد ، وذلك بتغيير المنكر و إزالته

ثانيها : الإنكار باللسان مع عدم استطاعة التغيير

ثالثها : الإنكار بالقلب عند عدم استطاعة التغيير باليد واللسان . فإن انتفى أحدها لم ينتف الآخر

ومثاله : مرور فرد من أفراد علماء الدين بأحد المكاسين ، وهو يأخذ أموال المظلومين . فهذا الفرد من علماء الدين لا يستطيع التغيير على هذا الذى يأخذ أموال المساكين باليد ولا باللسان ، لأنه يكون سخرية لأهل العصيان . فانتفى شرط الانكار بالوظيفتين ، ولم يبق إلا الانكار بالقلب الذى هو أضعف الإيمان .

فيجب على من رأى ذلك العالم ساكتا عن الانكار مع مشاهدة ما يأخذه ذلك الجبار: أن يعتقد أنه تعذر عليه الانكار، باليد واللسان وأنه قد أنكر بقلبه. فان حسن الظن بالمسلمين أهل الدين واجب والتأويل لهم ما أمكن ضربة لازب؛ فالداخلون إلى الحرم الشريف والمشاهدون لتلك الأبنية الشيطانية (١) التى فرقت كلمة الدين، وشتتت صلوات المسلمين. معذرون عن الانكار إلا بالقلب، كالمارين على المكاسين وعلى القبوريين (٢)

ومن هنا يعلم اختلال ما استمر عند أئمة الاستدلال من قولهم فى بعض ما يستدلون عليه: إنه وقع ولم ينكر، فكان إجماعا.

---

(١) أى مقامات المذاهب الأربعة.

(٢) هذا خطأ مردود على الشيخ غفر الله لنا وله. فإن حكمة الإنكار أن يعرف الناس أن هذا منكر يبغضه الله ولا يكون ذلك بالإنكار القلبى إلا بالبعد عنه وعن أهله ومقاطعتهم، وإعلان الكراهية لهم والبراءة منهم، فأما مجرد السكوت: فهو حجة لأهل المنكر على أن العلماء أقروهم على منكرهم. فدعوى الشيخ واعتذاره عن الذين اختانوا أنفسهم وخانوا أماناتهم دعوى باطلة.

ووجه اختلاله : أن قولهم « ولم ينكر » رجم بالغيب ، فانه قد يكون أنكرته قلوب كثيرة تعذر عليها الانكار باليد واللسان وأنت تشاهد فى زمانك : أنه كم من أمر يقع لا تنكره بلسانك ولا بيدك ، وأنت منكر له بقلبك ، ويقول الجاهل : إذا رآك تشاهده : سكت فلان عن الانكار بقوله ، إما لأنما أو متأسيا بسكوته ، فالسكوت لا يستدل به عارف . وكذا يعلم اختلال قولهم فى الاستدلال : فعل فلان كذا وسكت الباقون . فكان إجماعا — مختل من جهتين .

الأولى : دعوى أن سكوت الباقين تقرير لفعل فلان ، لما عرفت من عدم دلالة السكوت على التقرير .

الثانية : قولهم « فكان إجماعا » فإن الإجماع اتفاق أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، والساكت لا ينسب إليه وفاق ولا خلاف حتى يعرب عنه لسانه . قال بعض الملوك ـ وقد أثنى الحاضرون على شخص من عماله وفيهم رجل ساكت ـ مالك لا تقول كما يقولون ؟ فقال : إن تكلمت خالفتهم .

فما كل سكوت رضى . فان هذه منكرات أسسها مَنْ بيده السيف والسنان، ودماء العباد وأموالهم تحت لسانه وقلمه، وأعراضهم تحت قوله وكلمه؛ فكيف يقوى فرد من الأفراد على دفعه عما أراد

فإن هذه القباب والمشاهد التى صارت أعظم ذريعة إلى الشرك والإلحاد؛ وأكبر وسيلة إلى هدم الإسلام وخراب بنيانه ، غالب — بل كل من يعمرها — هم الملوك والسلاطين والرؤساء والولاة ، إما على قريب لهم أو على من يحسنون الظن فيه ، من فاضل أو عالم أو صوفى أو فقير ، أو شيخ أو كبير ، ويزوره الناس الذين يعرفونه زيارة الأموات من دون توسل به ولا هتف باسمه ، بل يدعون له ويستغفرون ، حتى ينقرض من يعرفه أو أكثرهم ، فيأتى من بعدهم فيجد قبراً قد شيد عليه البناء ، وسرجت عليه الشموع ، وفرش بالفراش الفاخر وأرخيت عليه الستور ، وألقيت عليه الأوراد والزهور ، فيعتقد أن ذلك لنفع أو لدفع ضر ، ويأتيه السدنة يكذبون على الميت بأنه فعل وفعل وأنزل بفلان الضرر ، وبفلان النفع ، حتى يغرسوا فى جبلته كل باطل . ولهذا الأمر

ثبت فى الأحاديث النبوية : اللعن على من أسرج على القبور وكتب عليها و بنى عليها ، وأحاديث ذلك واسعة معروفة ، فإن ذلك فى نفسه منهى عنه ، ثم هو ذريعة إلى مفسدة عظيمة .

فإن قلت : هذا قبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عمرت عليه قبة عظيمة ، أنفقت فيها الأموال .

قلت : هذا جهل عظيم بحقيقة الحال ، فإن هذه القبة ليس بناؤها منه صلى الله عليه وسلم ولا من أصحابه ولا من تابعيهم ولا تابع التابعين ، ولا من علماء أمته وأئمة ملته ؛ بل هذه القبة المعمولة على قبره صلى الله عليه وسلم من أبنية بعض ملوك مصر المتأخرين ، وهو قلاوون الصالحى ، المعروف بالملك المنصور فى سنة ثمان وسبعين وستمائة ، ذكره فى (تحقيق النصرة بتخليص معالم دار الهجرة) فهذه أمور دولية لا دليلية ، يتبع فيها الآخر الأول .

وهذا آخر ما أردناه مما أوردناه لما عمت البلوى واتبعت الأهواء وأعرض العلماء عن النكير الذى يجب عليهم ، ومالوا إلى ما مالت العامة إليه ؛ وصار المنكر معروفا والمعروف منكراً ، ولم تجد من الأعيان ناهيا عن ذلك ولا زاجراً .

فإن قلت : قد يتفق للأحياء وللأموات اتصال جماعة بهم يفعلون خوارق من الأفعال ، يتسمون بالمجاذيب ، فما حكم ما يأتون من تلك الأمور ، فإنها مما جلبت القلوب إلى الاعتقاد بها ؟

قلت : أما المتسمون بالمجاذيب الذين يلوكون لفظ الجلالة بأفواههم ، ويقولونها بألسنتهم ، ويخرجونها عن لفظها العربي : فهم من أجناد إبليس اللعين ، ومن أعظم حُمُر الكون الذين ألبستهم الشياطين حلل التلبيس والتزيين ، لما إن إطلاق الجلاله مفرداً عن إخبار عنها بقولهم « الله ، الله » ليس بكلام ولا توحيد ، وإنما هو تلاعب بهذا اللفظ الشريف بإخراجه عن لفظه العربي ، ثم إخلاؤه عن معنى من المعاني ، ولو أن رجلا عظيما صالحا يسمى بزيد : وصار جماعة يقولون : زيد . زيد ، لعد ذلك استهزاء وإهانة وسخرية ، ولاسيما إذا زاد إلى ذلك تحريف اللفظ

ثم انظر : هل أتى في لفظة من الكتاب والسنة ذكر الجلالة بانفرادها وتكريرها ؟ إذ الذي فيهما هو طلب الذكر والتوحيد والتسبيح والتهليل . وهذه أذكار رسول الله صلى الله عليه وآله

وسلم وأدعيته وأدعية آله وأصحابه خالية عن هذا الشهيق والنهيق
والنعيق، الذى اعتاده من هو عن الله وعن هدى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وسمته ودلّه فى مكان سحيق، ثم قد يضيفون إلى الجلالة
الشريفة أسماء جماعة من الموتَى مثل ابن علوان وأحمد بن الحسين
وعبد القادر ، والعيدروس . بل قد انتهى الحال إلى أنهم يفرون
إلى أهل القبور من الظلم والجور : كعلى رومان ، وعلى الأحمر ،
وأشباههما وقد صان الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم
وأهل الكساء وأعيان الصحابة عن إدخالهم فى أفواه هؤلاء
الجهلة الضلال . فيجمعون أنواعا من الجهل والشرك والكفر .

فإن قلت : إنه قد يتفق من هؤلاء الذين يلوكون الجلالة ؛
ويضيفون إليها عمل أهل الخلاعة والبطالة ، خوارق عادات ،
وأموراً تظن كرامات ، كطعن أنفسهم بالآت الحادة ، وحملهم
لمثل الحنش والحية والعقرب وأكلهم النار ، ومسهم إياها بالأيدى
وتقلبهم فيها بالأجسام .

قلت : هذه أحوال شيطانية ، وإنك لملبس عليك إن
ظننتها كرامات للأموات أو حسنات للأحياء لما هتف هذا الضال

بأسمائهم جعلهم أندادا وشركاء لله تعالى فى الخلق والأمر ، فهؤلاء الموتى أنت تفرض أنهم أولياء الله تعالى ، فهل يرضى ولى الله أن يجعله المجذوب أو السالك شريكا له تعالى ونداً ؟ إن زعمت ذلك فقد جئت شيئاً إدًّا ، وصيرت هؤلاء الأموات مشركين وأخرجتهم - وحاشاهم عن ذلك - عن دائرة الإسلام والدين ، حيث جعلتهم أنداداً لله راضين فرحين ، وزعمت أن هذه كرامات لهؤلاء المجاذيب الضلال المشركين ، التابعين لكل باطل ؛ المنغمسين فى بحار الرذائل ، الذين لا يسجدون لله سجدة ، ولا يذكرون الله وحده . فإن زعمت هذا فقد أثبت الكرامات للمشركين الكافرين وللمجانين ؛ وهدمت بذلك ضوابط الاسلام وقواعد الدين المبين ، والشرع المتين .

وإذا عرفت بطلان هذين الأمرين علمت أن هذه أحوال وأفعال طاغوتية ،وأعمال إبليسية ، يفعلها الشياطين لإخوانهم من هؤلاء الضالين ، معاونة من الفريقين ، وقد ثبت فى الأحاديث : أن الشياطين والجان يتشكلون بأشكال الحية والثعبان ، وهذا أمر مقطوع بوقوعه ، فهم الثعابين التي يشاهدها الإنسان في أيدي

المجاذيب . وقد يكون ذلك من باب السحر ، وهو أنواع ، وتعلمه ليس بالعسير ، بل بابه الأعظم : هو الكفر بالله ، و إهانة ماعظمه الله من جعل مصحف فى كنيف ونحوه . فلا يغتر من يشاهد مايعظم في عينيه من أحوال المجاذيب من الأمور التى يراها خوارق فإن للسحر تأثيراً عظيما فى الأفعال ، وهكذا الذين يقلبون الأعيان بالأسحار وغيرها. وقد ملأ سحرة فرعون الوادى بالثعابين والحيات حتى أوجس فى نفسه خيفة موسى عليه السلام ، وقد وصفه الله بأنه سحر عظيم ، والسحر يفعل أعظم من هذا فانه قد ذكر ابن بطوطة وغيره : أنه شاهد فى بلاد الهند قوما توقد لهم النار العظيمة فيلبسون الثياب الرقيقة ، و يخوضون فى تلك النار ، و يخرجون وثيابهم كأنها لم يمسها شىء ، بل ذكر أنه رأى إنسانا عند بعض ملوك الهند أتى بولدين معه ثم قطعهما عضواً عضواً ، ثم رمى بكل عضو إلى جهة فرقا ، حتى لم ير أحد شيئاً من تلك الأعضاء ، ثم صاح و بكى ، فلم يشعر الحاضرون إلا وقد نزل كل عضو على انفراده ، وانضم إلى الآخر ، حتى قام كل واحد منهما على عادته حياً سوياً .[1]

(١) هؤلاء هم صوفية الهند البوذية الوثنيون ، وهم سلف =

ذكر هذا فى رحلته ، وهى رحلة بسيطة . وقد اختصرت . طالعتها بمكة عام ست وثلاثين ومائة وألف . وأملاها علينا العلامة مفتي الحنفية فى المدينة السيد محمد بن أسعد رحمه الله .

وفى الأغانى لأبى الفرج الأصفهاني بسنده : أن ساحراً كان

= الصوفية فى أى زمن وبكل اسم فإن أصل الصوفية من عند هؤلاء . أدخلها أعداء الإسلام ليهدموا قواعده ، وينقضوا شرائعه ، وأهمها : إخلاص العبادة لله . وأساس دين الصوفية على هذه الشعبذات والمخاريق ، التى لاتروج إلا على السفهاء والحمقى أمثال ابن بطوطة . وأما العقلاء الذين يعرفون سـنة الله وحكمته : فإنهم لايخدعون بهذه المخرقات والشعوذات . ولقد كان ابن بطوطة من أشد الناس نصراً للشرك والوثنية ، ومعاداة للتوحيد وأهله ، حتى لقد حمله حقده وعداوته للموحدين أن يكذب على شيخ الاسـلام ابن تيمية ، ويدعى أنه رآه بعينه نزل درجة عن منبر دمشق وقال : إن الله ينزل مثل نزولى هذا ، ولقد حقق ابن كثير وغيره من علماء التاريخ : أن ابن بطوطة إنما دخل دمشق وشيخ الاسلام محبوس فى السجن ، ولم يخرج منه إلا بعد خروج ابن بطوطة من دمشق بمدة طويلة . ومثل هذه الواقعة تدل على قيمة مايروى ابن بطوطة فى رحلته . وان أكثرها خيال وأوهام .

عند الوليد بن عقبة ، فجعل يدخل فى جوف بقرة ويخرج ، فرآه جندب رضى الله عنه ، فذهب إلى بيته ، فاشتمل على سيفه ، فلما دخل الساحر فى البقرة قال جندب (أتأتون السحر وأنتم تبصرون؟) ثم ضرب وسط البقرة ، فقطعها وقطع الساحر معها. فانذعر الناس فحبسه الوليد ، وكتب بذلك إلي عثمان رضي الله عنه ، وكان على السجن رجل نصرانى . فلما رأى جندباً يقوم الليل ويصبح صائماً ، قال النصرانى : والله إن قوماً هذا شرهم لقوم صدق . فوكل بالسجن رجلا ودخل الكوفة . فسأل عن أفضل أهلها فقالوا : الأشعث بن قيس ، فاستضافه فرأى أبا محمد - يعنى الأشعث - ينام الليل ، ويصبح فيدعو بغدائه ، فخرج من عنده وسأل : أى أهل الكوفة أفضل ؟ فقالوا : جرير بن عبد الله ، فوجده ينام الليل ، ثم يصبح فيدعون بغدائه . فاستقبل القبلة ، فقال : ربى رب جندب ، ودينى دين جندب ، وأسلم . وأخرجها البيهقى فى السنن الكبرى بمغايرة فى القصة . فذكر بسنده إلى الأسود : أن الوليد بن عقبة كان بالعراق يلعب بين يديه ساحر ،

فكان يضرب رأس الرجل ثم يصيح به ، فيقوم صارخا ، فيرد إليه رأسه . فقال الناس : سبحان الله ! يحيي الموتى ، ورآه رجل من صالحى المهاجرين ، فلما كان من من الغد اشتمل على سيفه ، فذهب يلعب لعبه ذلك ، فاخترط الرجل سيفه فضرب عنقه . وقال : إن كان صادقا فليحى نفسه ، فأمر به الوليد دينارا صاحب السجن . فسجنه . انتهى .

بل أعجب من هذا : ما أخرجه الحافظ البيهقى بإسناده فى قصة طويلة ، وفيها ، أن امرأة تعلمت السحر من الملكين ببابل هاروت وماروت ، وأنها أخذت قمحا، فقالت له ـ بعد أن ألقته فى الأرض ـ : أطلع ، فطلع ، فقالت : احقل ، فأحقل ، ثم تركته . ثم قالت أيبس فيبس ، ثم قالت له : اطحن فأطحن ، ثم قالت له : اختبز فاختبز . وكانت لا تريد شيئاً إلا كان .

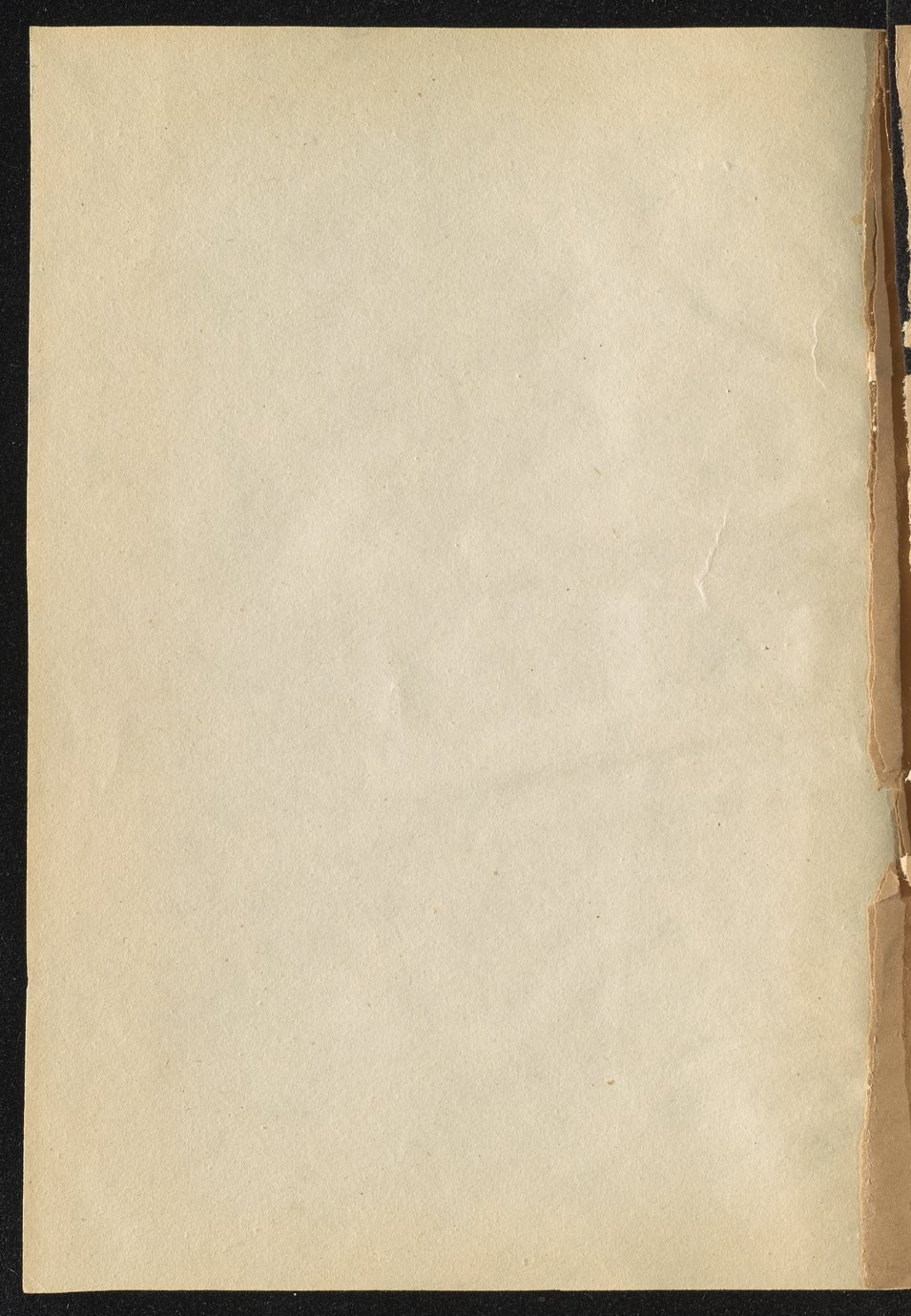
والأحوال الشيطانية لا تنحصر . وكفى بما يأتى به الدجال . والميعاد اتباع الكتاب والسنة ومخالفتهما

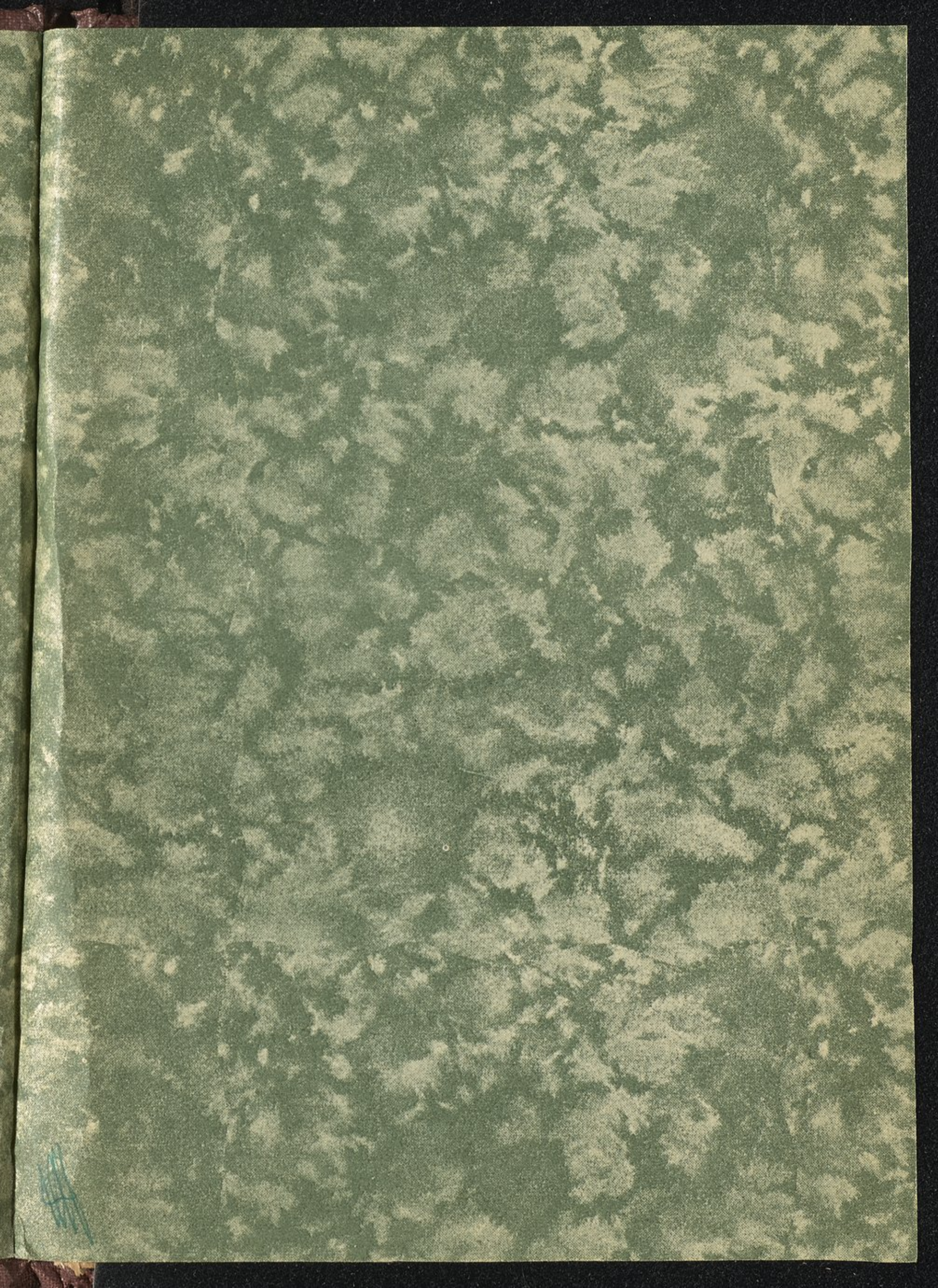
انتهى ما أوردناه والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً

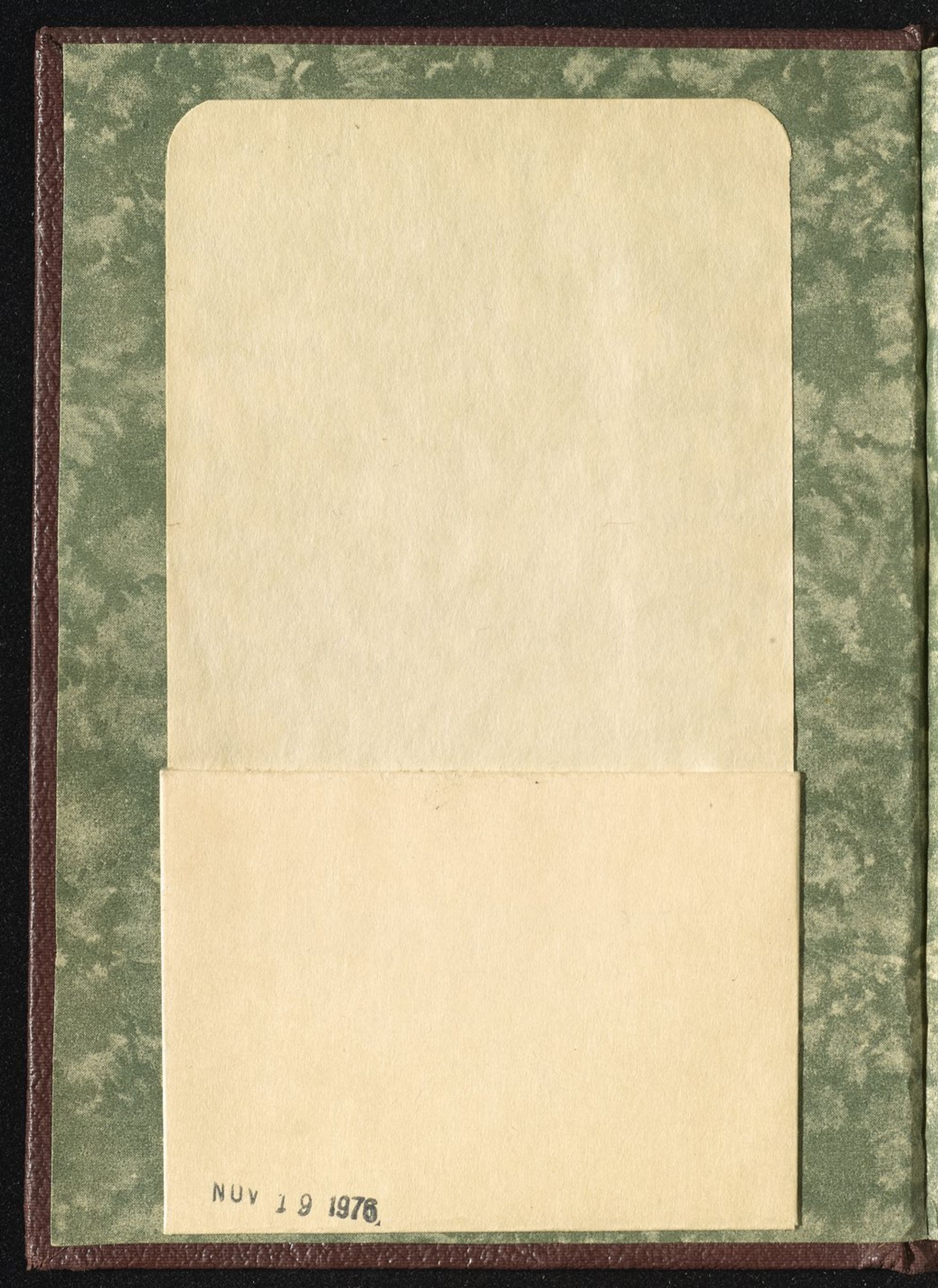
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

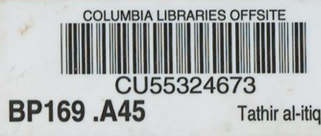
30/11/54

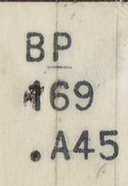
مطبعة السنة المحمدية
٥ شارع غيط النوبى ـ القاهرة
ت ٧٩٠١٧








COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU55324673
BP169 .A45
Tathir al-itiqad an


BP
169
.A45